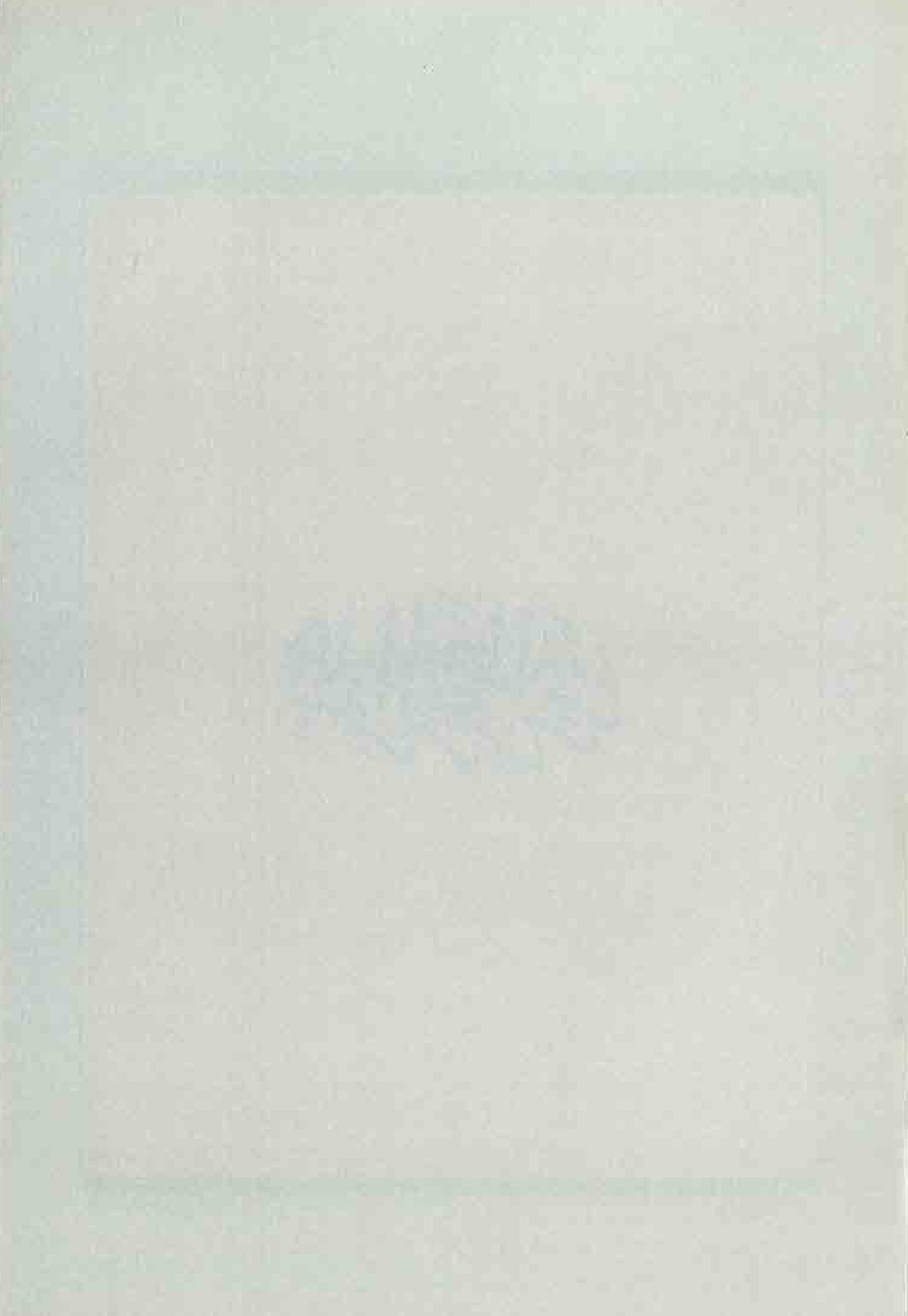


الوثيقة

يصدرها
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين

العدد الحادي عشر - السنة السادسة
ذو القعدة ١٤٠٧ هـ - يوليو ١٩٨٧م


بسم الله الرحمن الرحيم



الوثيقة

دورية نصف سنوية

تصدر عن

مركز الوثائق التاريخية

بدولة البحرين

رئيس التحرير:

الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

العدد الحادي عشر - السنة السادسة
ذو القعدة ١٤٠٧ هـ - يوليو ١٩٨٧ م

العنوان : مركز الوثائق التاريخية ص . ب ٢٨٨٨٢
تليفون : ٦٦٤٨٥٤
جميع المكاتبات ترسل باسم رئيس التحرير .

الفهرس

الموضوع | الصفحة

القسم الانجليزي

صورة الغلاف
للفنان السعودي
فؤاد المغربل

جميع الابحاث المنشورة في هذا العدد تمثل وجهة نظر كاتبها

(الوثيقة)

كلمة العدد

ان المتأمل لخريطة الصراع بين الشرق والغرب بصفة عامة او بين الغرب والمنطقة العربية والخليج بصفة خاصة . سوف تتأكد لديه حقيقة قد لا تكون غائبة عن البعض اليوم . ولكنها بالتأكيد تغيب عن البعض الآخر . هذه الحقيقة التى نقدمها للتاريخ فى كلمات قلائل تقول : ان الشرق يعطى والغرب يأخذ فالشرق عامة .. والشرق العربى خاصة . فى الوقت الذى حشد كل امكانياته وطاقاته وجهاده وسعيه لتقديم الحضارة والتقدم والقيم والمثل العليا والمواد الخام للغرب . فان الغرب بذل جهوده وجنوده وحشوده ، واساطيله ليسلب الشرق ثرواته وخيراته وقيمه ايضا . الشرق فى مجال العطاء الحضارى للبشرية قدم ما لديه بلا حدود . والغرب لم يكتف بما قدم له من قيم وانما انطلق الى الشرق ليأخذ ما بقى لديه من امكانيات وانحصر عطاؤه لتاريخ الانسان وتاريخ العلم فى الرعب النووى الذى يخيف الكون كله اليوم .

فى هذه الكلمات تتلخص قصة الصراع الذى دار والذى يدور ونحن فى هذه الصدد لن نوغل كثيرا فى التاريخ لنعرض مثلا لما قدمته سومر وبابل من عطاء فى الفلك او القانون . ولا لما قدمته الهند القديمة من عطاء روحى وفلسفى ولا لما قدمته مصر الفرعونية من ابتكار فى مختلف العلوم والفنون ولا لما حمله العرب مع الاسلام من تمدن وتقدم وتحضر فى مختلف نواحى الحياة . حيث اكتملت مع الاسلام كل المعطيات

الحضارية علما وفنا وأدبا ونظام دولة واقتصادا واجتماعا . لن نوغل فى التاريخ لنعرض لكل ذلك او حتى لبعضه فهو كثير تحفل به قصة الحضارة نفسها . ويسجله كتاب التاريخ وانما سنبدأ من فترة قريبة نسبيا للاذهان . فالى شمال الاندلس وصل المد الاسلامى القادم من الشرق فى وقت كان فيه الغرب ضائعا فى ظلمات القرون الوسطى وتحولت الاندلس الى نقطة اشعاع حضارى اسلامى منها تعلم الغرب الكثير فى مختلف نواحى الحياة من ابسط قواعد السلوك الى اعقد نظريات العلم لقد احيت جامعات الاندلس وعلماؤها ما كاد يغيبه التاريخ من تراث اليونان والرومان عبر جسر من التعاون الوثيق مع علماء المشرق واضافوا اليه الكثير من الانجازات والابتكارات ثم قدموا كل ذلك بسخاء لطلاب العلم الذين شدوا الرحال الى الاندلس من كل ارجاء الغرب المظلم فى كل اوروبا المتخلفة وعندما سلب الغرب كل علوم الشرق وعندما وصل المد الاسلامى الى فترة الاسترخاء بدأت الهجمة الغربية مسلحة بالعلوم الشرقية وحتى بالاسلوب نفسه . فعندما اطلت الحضارة العربية على اوروبا والعالم تقدمت تحت راية الاسلام وعندما بدأت الهجمة الغربية على الشرق فى الحروب الصليبية شرعت راية الصليب وضللت رجل الشارع الاوروبى بأنها انما تزحف لنشر المسيحية بينما الكل يعرف اليوم ان الحملات الصليبية انطلقت لسلب خيرات الشرق وان الوعود كانت تقدم للقادة والجنود بأن من اراد ان يحقق الثراء فلينخرط فى حملات الشرق .

وتقدم الزحف الصليبى الى آسيا الصغرى ثم الشام يحطم ويسحق ويبتز وينقل الى اوروبا الجائعة خيرات الشرق ثم تكسرت الموجات موجة اثر موجة وبدأت هجمات جديدة عندما جردت البرتغال اساطيلها لفتح طرق التجارة مع الشرق ولم تر شعوب المنطقة منهم علما ولا فنا وانما لاقت منهم الأمرين قتلا وتعذيبا وسلبا ونهبا وجاء الهولنديون وما كان لهم اى اهتمام الا بالتجارة سواء فى تصريف منتجاتهم فى اسواق الشرق او فى نقل ثروات الشرق الى بلادهم ثم تجمع الطامعون وتنافسوا

وبدأت الهجمات وجاء الاستعمار العسكرى ومناطق النفوذ وبرز الانجليز والفرنسيون والاسلوب هو الاسلوب فاذا ما تفجر النفط جاء عصر الامريكان واخذوه بثمن بخس .

مسلسل طويل يقوم على كلمة واحدة (الأخذ) حتى عندما تفجرت الثورة العلمية والتقنية واوغل الشرق فى تخلفه قدموا له من افرازات هذه الثورة أسوأ ما انتجته وسيلة واداة غير مباشرة لسلب ما بقى لديه من قيم فى الدين والاخلاق والسلوك .

هذا يحكيه التاريخ لمن يحب ان يقرأ التاريخ ، هدف واحد كبير هو (الاخذ) وكان لابد لتحقيق ذلك ان تواكبه بالطبع مجموعة من الاجراءات اكملت كل ابعاد الصورة الكئيبة . فلكى يتحقق الهدف الكبير لابد ان يصبح الشرق ممزقا وان تتحارب دولة ويتقاتل أبناؤه وتتصارع زعاماته لابد ان تتواصل الحروب الاقليمية وان تغرس بذور الشقاق والبغضاء والكره لابد ان تتفرق الكلمة والا يسمح بقيام كيان واحد تحت اى ظرف من الظروف لابد ان يمنع الشرق من استعادة اعتماده على نفسه وان يظل أسير الحاجة الى الغرب ابتداء من حبة القمح الى الطائرة والصاروخ . صورة واحدة تتكرر على الساحة الفسيحة للشرق ابتداء من اقاصى الشرق الاقصى الى اقاصى المغرب العربى ونزولا الى اعماق افريقيا السوداء .

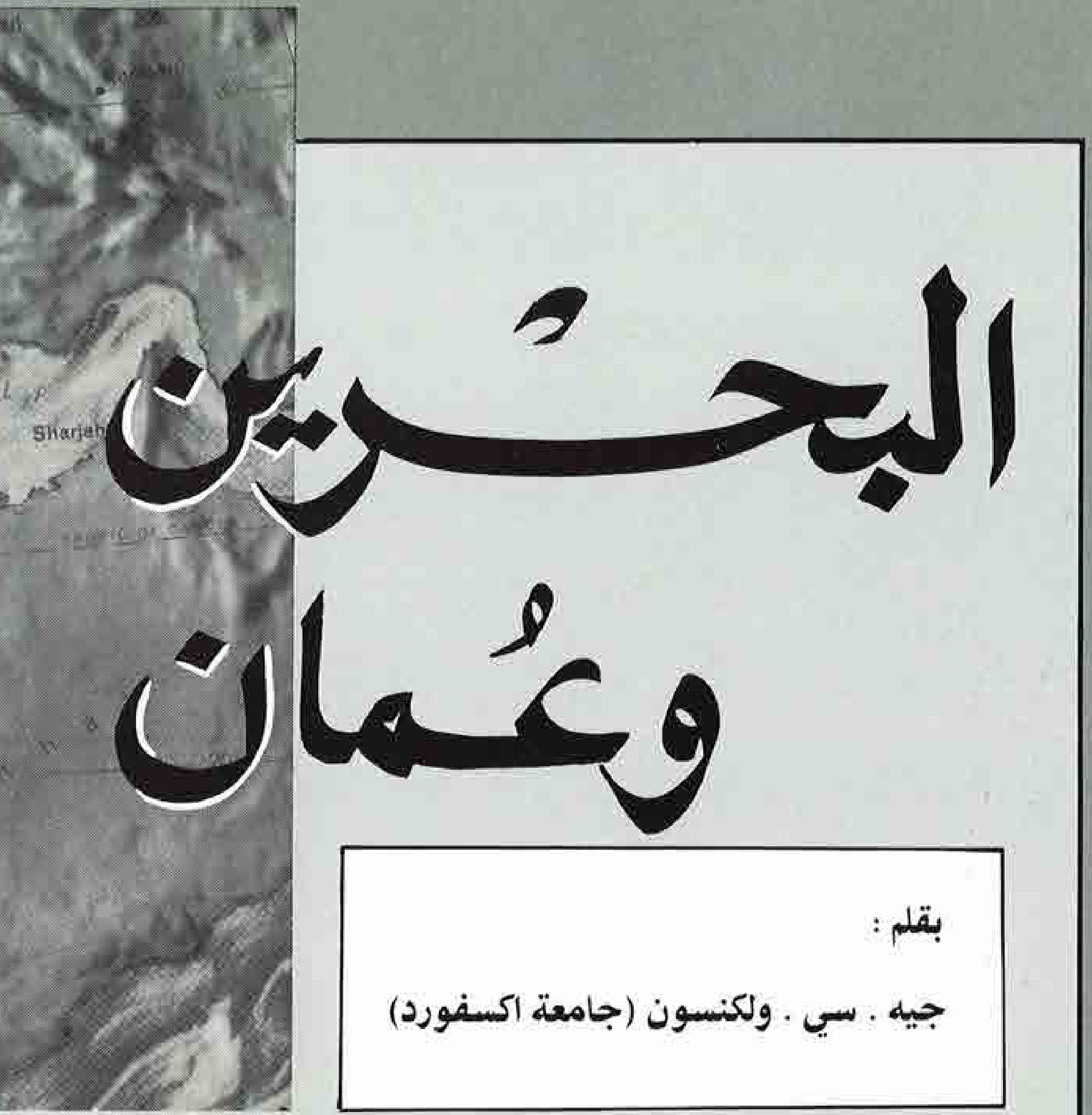
فى العصور التى سادت فيها حضارات الشرق شهد العالم ازهى عصور أمنه وهنائه . وكانت ثمار كل حضارة متاحة للكون كله تدفع بالانسانية قدما للأمام . وتمنح عطاءها للجميع بلاتمييز لم تغلق حدود . ولم تقم سدود وكان العلماء يأتون من كل فج لمراكز الاشعاع يتعلمون وينقلون كل ما تعلموه الى كل ارض ووجدت حروب - والحرب سليقة فى الانسان ، ولكنها كانت حروبا تسودها روح الفروسية سيف لسيف ورمح لرمح ووجدت تجاوزات والشر طبيعة عند البعض - ولكنها تجاوزات انحصرت فى بقع محدودة هنا او هناك اما فى العصور التى سادت فيها حضارات الغرب فقد شهد العالم ويشهد فلسفة جديدة

للقهر فمن يملك العلم يتمتع بالعلم وحده وما يتوصل اليه الغرب من جديد هو سر الاسرار يحتفظ به الغرب لنفسه ولا يكشف منه الا ما اصبح غير ذى نفع والا اذا اصبح لديه ما هو اكثر منه تطورا ومن يملك البأس والقوة يملك كل شيء والقوى وحده هو من له حق السعادة وحق الحياة واسرار العلم واسرار التكنولوجيا لاصحابها فقط وللآخرين الفتات . والحرب فزع وخوف للكون كله اسلحتها سموم وجراثيم تفتك بالمدن والقرى والمزارع والبساتين والينابيع والانهار والأمن - اذا كان هناك ثمة أمن - للقوى الكبرى فقط اما الكون اما الانسانية اما العالم فله الخوف والرعب من دمار اذا وقع فلن يبقى ولن يذر ولن يدع اخضر ولا يابسا . توتر وتوجس نسف في اعماق الانسان كل شعور بالأمن حتى على المستقبل القريب . ملايين الاطنان من الطعام تلقى في المحيط وملايين الانفس تموت كل صباح من الجوع .

صورتان متناقضتان تمام التناقض تعكسان ما قدمه الشرق للانسان عندما سادت حضارات الشرق وما يقدمه الغرب للانسان عندما سادت حضارات الغرب عطاء من هنا واخذ من هناك اضافات من هنا وسلب من هناك .

ترى ماذا سيكتب مؤرخو الحضارات بعد الف عام وهم يقومون حضارات هذا العصر الكئيب . وكيف سيكون الحكم في محكمة التاريخ سؤال لن تعرف اجابته الا بعد الف عام .

عبدالله بن خالد آل خليفة

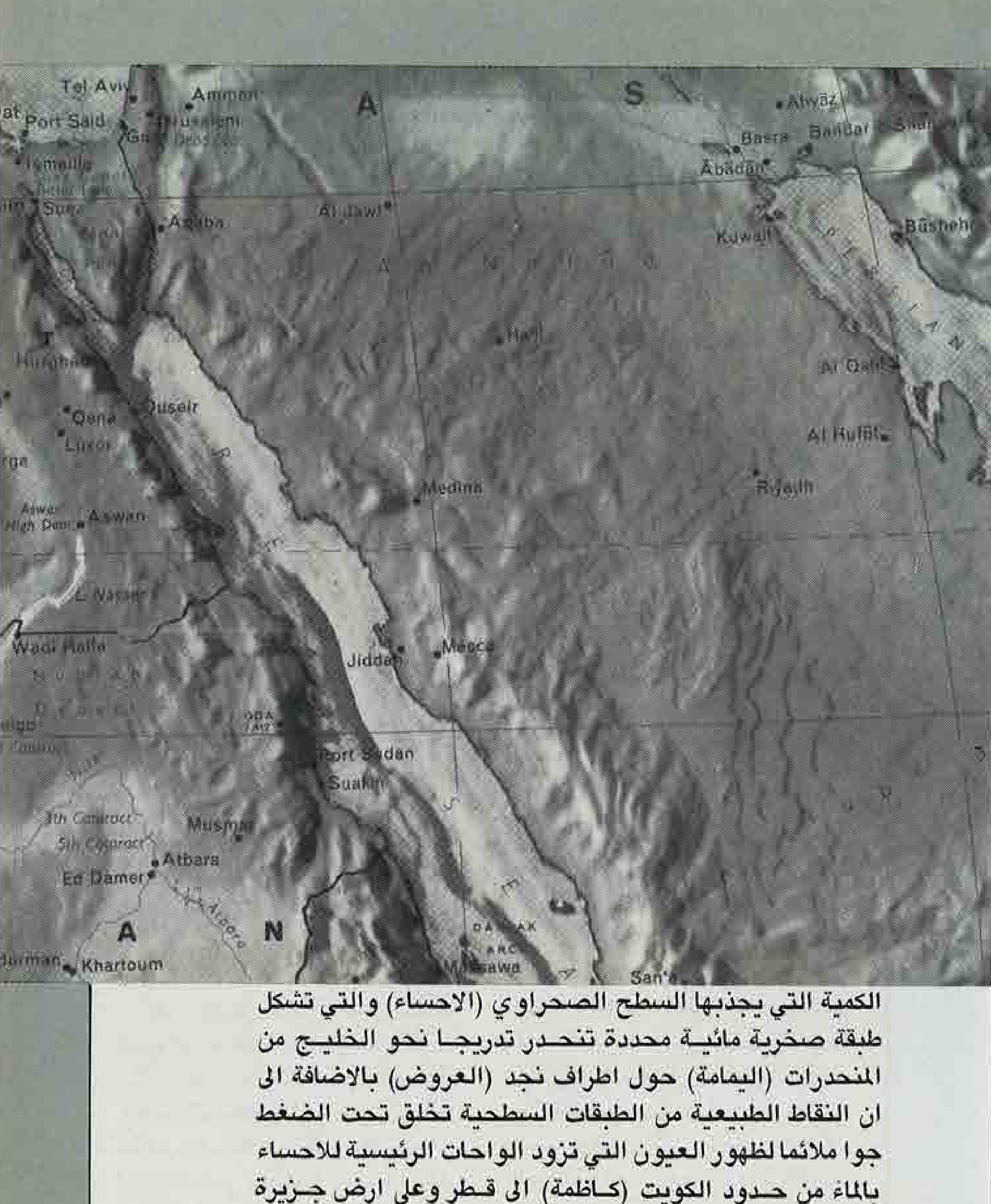


البحرين وعُمان

بقلم :

جيه . سي . ولكنسون (جامعة اكسفورد)

طبقا للمصادر الكلاسيكية العربية تقسم الجغرافية التقليدية، الساحل الشرقي للجزيرة العربية بين البحرين وعمان. وهذه الفكرة القديمة بالنسبة للبحرين تتطابق الى حد ما مع فكرة دلمون كما تتطابق عمان على وجه التقريب مع ماجان. وهذا التقسيم اساسا يقوم على فكرة جغرافية. وترتكز الحياة الاقتصادية في منطقة عمان على سلسلة من الجبال التي تمتد لمسافة ٦٥٠ كم وتشكل ميزة طبيعية بارزة لجنوب شرقي الجزيرة العربية. وتقع البحرين فوق منطقة تتكون من كتلتين من الماء اي



الكمية التي يجذبها السطح الصحراوي (الاحساء) والتي تشكل طبقة صخرية مائيـة محددة تنحـدر تدريجـا نحو الخليـج من المنحدرات (اليمامة) حول اطراف نجد (العروض) بالاضافة الى ان النقاط الطبيعية من الطبقات السطحية تخلق تحت الضغط جوا ملائما لظهور العيون التي تزود الواحات الرئيسية للاحساء بالماء من حـدود الكويت (كـاظمة) الى قـطر وعلى ارض جـزيرة البحرين نفسها.. وكان الغواصون يملأون قربهم بالماء بعيدا عن الشواطىء من نقاط التفريغ الطبيعية في البحرين,

وقد اطلق على المساحة الحدودية بين هاتين المنطقتين اسم «البينونة» لانها تفصل بينهما حسب ما ذكر «العوتبي» وهو مصدر عماني لأوائل القرن الثاني عشر الميلادي ويتطابق مع ما يقوله ياقوت في موسوعته الجغرافية. واليوم لا تشكل البينونة الا شريطا ساحليا صغيرا في غرب ابي ظبي ولم يعد الاسم الا اسما اثريا ينتشر فقط في جزء من المساحة الاصلية.

والبحرين نفسها نموذج رائع لهذه العملية (بوتس ١٩٨٣) اذ يمكن العثور على استخدام قديم لهذا الاسم في القرن التاسع عشر. فالكابتن سادلير وهو اول اوروبي يعبر الجزيرة العربية (١٨١٩) يشير الى اسم (البحرين) لكنه يطلق على البر الرئيسي (البحران) «بالرفع» (سادلير ١٩٧٢، طبع جديد ص ٥٢) في حين يقول لوريمر بأن الاسم القديم للجزيرة اي اوال كان مفهوما حتى في بداية هذا القرن.

وقد تعرض شمال عمان كذلك لتغييرات مماثلة ومن منتصف القرن الثامن عشر نلاحظ اختفاء الاسماء القديمة للمنطقة والتي ترجع الى بداية العصر الاسلامي وقبله وتشير الى المركز الرئيسي ومنطقته. وتشمل جلفار (جلافار او جرفار او جرافار) اصلا ساحل عمان بالكامل، ربما من مستوى دبي (السبخة) الى شبه جزيرة مسندم مع ان الميناء الذي عرف بهذا الاسم اطلق عليه خور رأس الخيمة الحديثة. ويختفي اسم جلفار بظهور دولة القواسم. كذلك تختفي اسماء المنطقتين الرئيسيتين الداخليتين المتتاليتين في نفس هذه الفترة. فتوام (الاصح توام) تصبح البريمي وتسمى المنطقة المجاورة (الجوّ) مع ان الاسم القديم لا يزال يستخدم كلقب (تيما) (العين) (اي عين الظواهر - انظر فيما بعد للتفاصيل عن المجموعات القبلية في المنطقة). وفي الداخل يختفي اسم (سر) ويشتهر المركز الرئيسي باسم (عبري). ويصبح كل من البريمي وعبري اسمين للواحتين الرئيسيتين وتعطى المنطقة التي تضم الاثنتين اسما جديدا هو (الظاهرة) مقابل (الباطنة) اي الجانب الداخلي لسلسلة الجبال. ويلاحظ ان هذا الاصطلاح (بدوي) الى حد ما ويستخدم لمقارنة جانبين لمظهر جغرافي واحد (راجع ايضا «الظاهر» اللقب البدوي لابي ظبي الذي يقع على ظهر «الخور» والذي هو المستوطن الداخلي للباطن). و«الظاهرة» دون شك اسم حديث نسبيا ويظهر لاول مرة في المصادر العمانية المتأخرة من بداية القرن الثامن عشر والتي تستخدم الاسماء الجديدة للمراكز في شمال عمان. ورغم

ذلك تبقى آثار الاسماء القديمة حتى اليـوم بشكـل مخلوط بحيث يقـسم المحليـون الظاهـرة الى ظاهـرة السر وظاهرة الجو. وترتبط هذه التغييرات في اسماء المواقع الجغرافية بالمفاهيم الجغرافية لدى السـلالات الجديـدة والمجموعات القبلية. كما نرى فيما بعد اذ تغيرت المنطقة كلها كثيـرا بسبب الهجـرات التي سبقـت تغـييـرات رئيسية بين الاسر الحاكمة في القـرن الثامن عشر وهي الفترة التي بـرزت فيها ملامح السلالات الحاكمة الحالية الى حد ما. في تلك الفترة حل آل سعود في البحرين القديمة محل بني خـالد وكذلك بدأ العتوب وآل ثاني فيما بعد يحققون شهرة كبيرة. وانتهت سلالة اليعاربة في عمان نتيجة الحرب الاهلية وحلت محلهـا سلالة البـوسعيد. وفي الواحـات الشماليـة بـدأ البـوفـلاح والقواسم في اقامة دول مشابهة كما اتبـع البوخـريـيـان من النعيم نفس الخطوة على مستوى اقل.

وفي نفس الفتـرة تقلصت منطقـة (البينونة) التي كانت تضم مساحـة واسعة حسب المصادر القديمة ربما شملت كافة ابـوظبي الغربيـة وشاع استخدام الاسماء المحليـة كالظفـرة واليـوا وسمجـان وسبخـت مـطي والبينونة الجـديدة. وعـلى الرغم من التغـيير في الاسمـاء الا ان المفهـوم الجغرافي القديم عن الحدود ظل كما هـو. «فـسبـخت مـطي» «حـسـب الشهادات المعاصرة لجميع الشيوخ وحـسب الاشخـاص الذين لديـهم معلومات عن الموضوع والذين التقيت بهم، هي الخط الفاصل بين نجد (اي الدولة السعودية الجـديدة) وعمـان وكان يعتبر هكذا منذ القدم». (مايلز ١٨٧٧). وتـظهـر «سبخت مـطي» بـالضبط عـلى الحدود بـين البحرين وعمـان على خـريـطة ف ـ وستنفلد (البحرين واليمامة لدى الجغرافيـين العرب) التي اعدت في نفس الوقت وتم فيهـا تحديـد الاماكن عـلى الجـانب العماني بوضـوح. فهم يشيرون الى القبـائـل البحـرينيـة/ السعـوديـة كـ (أهـل) الغرب ولا يـوافقون عـلى نـظريـة التقسيم التي تـرجـع الى الانطلاق من المنطقة الجبلية الداخلية اي الفصل بين الهناوي والغافـري. هذه الصيغة العمانية معترف بها من الجـانب الآخر ايضـا من حيث انـه يمكن لمـواطن قـطري ان يشـير الى أبـوظبي كعمـان. وفي داخـل عمـان نفسهـا يطلق هـذا الاسم عـلى قلب المنطقة بحيث يميل السكان الى تسمية المساحة المتاخمة للجبل بعمان.

ورغم ذلك هناك ارتباطات مشوقة بين البحرين وعمان مما يلقي الضوء على الوضع القبلي في شمال عمان (اي من السر الى ابـوظبي) وعلى التـاريخ السياسي في تلك المنطقة. ومن ناحيـة

يمكن تتبعه الى تاريخ الهجرات بين المنطقتين ومن ناحية اخرى الى التحالفات واحيانا الى التأثير الديني الذي يربط بينهم.

العلاقات المبكرة

● العلاقات القبلية:

ان عمان شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاثة جوانب ويمتد «الربع الخالي» في الجانب الرابع. ويقتصر الوصول اليها على ممرين ضيقين احدهما على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية ويؤدي الى جنوب شرق عمان عن طريق جعلان وثانيهما عبر ساحل الهدنة الى توام.

ويبدو ان اول هجرة سجلت في تاريخ القبائل العربية جاءت من جنوب غربي الجزيرة العربية وهي هجرة (مالك بن فهم الأزدي) واتخذت طريق الممر الاول لكن الهجرة التي اتخذت الطريق الثاني ذات اهمية أكثر. لان الموجتين الرئيسيتين المتتاليتين لكل من ازد (عمان) وعمران (الأزد وهجر) وشنوءه (يحمد وأولاد شمس) اتبعتا طريق وسط الجزيرة العربية (العروض) الى اليمامة والبحرين قبل استيطان عمان. كذلك اتبعت ابن سامة ومجموعات عبدالقيس ويحتمل كنده ايضا نفس الطريق.

كان عمران من اول المهاجرين الذين وصلوا الى عمان بهذا الطريق وطبقا للعوتبي (وهو المصدر الرئيسي العماني حول ما ذكر في هذا البحث عن القبائل) فان عاصمة اليمامة القديمة وهي حجر اتخذت اسمها من حجر بن عمران. واستقر عمران على طول طريق الهجرة حتى الظاهرة الحديثة والشرقية وهكذا امتزج مع مالك بن فهم الذين كانوا من البدو وبالتعاون مع جماعات قضاعة (خاصة الراسب) هاجروا عبر جنوب الجزيرة العربية الى مجمع في جعلان ومن هناك انتشروا داخل الجبال بشكل تيار معكوس في اتجاه البحرين. وفي البحرين تحالفت جماعات مالك بن فهم وقضاعة بدورها مع عبدالقيس الذين استوطنوا ضواحي الواحات الرئيسية وانتشروا شرقا نحو عمان وشمالا الى العراق مما ادى الى وقوع تصادم بينهم وبين بني سعد من تميم وكانوا آنذاك هم البدو الصحراويون من شرق الجزيرة العربية. لقد كان تحرك كل من مالك بن فهم أزد وقضاعة وعبدالقيس شمالا هو مصدر الاساطير التي صاحبت هجرة تنوخ ومحاولات ابن الكلبي غير المعقولة لفهم اصول السلالات القبلية العربية (خاصة ما ذكره عن اندماج الازد. وقضاعة عن طريق مالك بن فهم وجذيمة الابرش) واختلاطهم مع الجاليات المتمدنة على الحدود الصحراوية في الجزيرة العربية. لكن

لا عبد القيس ولا مالك بن فهم نجحا في التعايش مع الجماعة القبلية الجديدة التي دخلت الى عمان عن طريق بوابة توام وهي بنونجو او ناجية والجماعات الاخرى من بني سامة الشهيرة (اصل من لؤي).. ويذكر التاريخ القبلي حول السلالات الشخصية ان عمران تحالف مع لؤي بواسطة زواج ابنه ازد من هند بنت سامة بن لؤي. وقد نشأت من هذا الزواج عشيرة عتيك وهو اسم قبلي لعشيرة من اصل النباهنة الطليعية كما انحدر منهم المحلبيون ايضا. (طبقا للاسلوب الذي يستهدف اكتشاف بدايات مشرفة للعائلات).

لكن المركز الرئيسي في التحالفات العربية بالمنطقة قبل الاسلام احتلته جماعات شنوءه التي هاجرت الى عمان عن طريق وسط الجزيرة العربية وربما ارتبطت هجرتهم بالاوضاع العامة لقوة العرب في الجزيرة العربية خلال القرن الرابع وهناك دلائل تشير الى ارتباطهم بكنده التي استوطنت جماعات هامة منها عمان. وبعد المرور من العروض الى اليمامة يبدو ان عشائر شنوءه سيطرت على بني حنيفة لكن جماعات من عامر بن صعصعة التي سكنت المنطقة تصدت لها فاندفعت الى الامام وتقدمت نحو البحرين حيث يقال انها غزت سكان الارض البحرية (اهل العباب) وفي النهاية بدأت تستوطن عمان ويحتمل حدوث ذلك خلال ضعف الحكم الايراني وقبل توطيد سلطة كسرى انوشروان، لكنهم حافظوا على بعض السلطة في الاماكن التي هاجروا منها اخيرا فنجد ان شيخ المعوالي (اولاد شمس شنوءه) عين رجلا اسمه باقل بن ساري (يقرأ «شاري») بن يحمد وهو اخ لخروص الشهير (بن شاري بن يحمد) من عشائر عمان، صاحب العروض في احد المناصب (ابن قتيبة طبع ١٩٦٠، ١٠٨، العوتبي، جونستون، مخطوطة ٢١٢ ص ٥ ابن دريد، الاشتقاق، ٥٠٨).

ويبدو أن هذه الجماعة من شنوءه اصبحت اهم تحالف في تحالفات جنوب شرقي الجزيرة العربية في الفترة التي سبقت الاسلام وان هذا الوضع نال الاعتراف به عندما عين شيخهم "جلندي" على القبائل العربية في مزون (عمان) حسب الاتفاقية التي تمت مع الايرانيين عقب تنفيذ اصلاحات انوشروان. وقد تمت ترتيبات مماثلة مع العرب في كل من البحرين وجنوب غرب الجزيرة العربية حيث تم تعيين شيوخهم اسباض (اسباباض) وابنا (ولكنسون ١٩٧٣).

● عبدالقيس

لقد تحقق التحالف بالبحرين عن طريق علاقات عبد القيس بعشائر مالك

بن فهم وترجع هذه العلاقات الى قصة مكافأة القائد العبدي الذي عين وزيرا لقائد «الأزد» مكافأة له على قصيدته في مدح مالك بن فهم كما سمح له بحق الاستيطان.

ونظرا لاهمية التحالف القديم بين عبد القيس والأزد فقد تكون بعض التفاصيل عن جماعات العبدي التي اوردها العوتبي مشوقة الى حد ما. وتضيف هذه التفاصيل شيئا الى النصوص الكلاسيكية (على سبيل المثال ابن قتيبة ٤ ـ ٩٣ والهمداني ـ صفحة١٣٦ وانظر أيضا أكاسكل في اي ٢و١، عبد القيس وبكر بن وائل وفي طبعة للكتاب عن ابن الكلبي). فبصفة عامة انتشرت الجماعات حسب السلالات وفي طليعتها (لكيز بن افصي بن عبد القيس) في المراكز الرئيسية بالبحرين. ونقل اخوة (شن) شمالا الى حدود العراق وكان وراءهم لبوع (عبد القيس). وهكذا كانت الاتصالات العمانية غالبا بفروع لكيز خاصة مع نقرة وديل وعواقة/ عيوق وعمور وعمار (انمار). وانتشرت الاخيرة في منطقة عمان وكان من فروعها جماعة بني الحارث بن عمار وخاصة عامر بن الحارث وعوف بن عمار وتفرعت الى جذيمة وعمرو.

عاش بنو عمرو بن عوف بن عمار بصفة عامة في البحرين نفسها وفرضوا مراقبتهم على المستوطنات الرئيسية في الاحساء بالتعاون مع حلفائهم بني الحارث وعواقة ويبدو ان القطيف كانت آنذاك تحت سيطرة نقرة وتواجد عامر بن الحارث في اتجاه عمان مع ان فرعا منهم عاش في هجر عاصمة البحرين. كان عامر بن الحارث من جماعة بدوية وهكذا اختلطوا مع البدو الصحراويين من بني سعد الذين كانوا يسكنون جانبي الدهناء وانتشروا الى كل من قطر ويبرين وبينونة (البكري ١٢,٥٧، وياقوت ـ المعجم ـ مقال عن بينونة) اما المستوطنتان الرئيسيتان لهذه الجماعة من عبدي فكانتا في مكانين مجهولين (الشفار والطروان ؟) لكن مساكنهم كانت في رمال كل من هجر وقطر وبينونة. وقد شكلوا ركنا في التحالف المسمى «الخارجية» (نص العوتبي غير دقيق ومن المحتمل انه يقصد الخوارج) والذي ضم على الاقل قبيلة عمار، اي عامر بن مالك. ويحكى العوتبي حكاية غريبة حول العشيرة الاخيرة فيقول عن شخص اسمه معاوية بن يحى انه ترك ديار القبيلة ومعه ٢٠٠ من اقاربه وبني عمومته واستوطن جلفار. ثم احتلت الجماعة اوال (جزيرة البحرين) وقسمت اراضيها بينها وبين سكانها من المجوس وكان عددهم قليلا.

وكانت جذيمة (بن عوف بن عمار) تسكن الساحل الذي يشتهر حاليا

(وقت كتابة البحث) بساحل عمان المتصالح وفي المناطق الداخلية على الحدود الصحراوية بشمال عمان حتى السر على الاقل وكانت تحالفات عبدالقيس معقدة وسيطرت عليها «الديل» وكانت اثنتان منها هما بنو عامر (بنو الديل) وآل عوف (بن عوف بن عامر بن الديل) من البدو الرئيسيين في منطقة توام (على الاقل في الدور الاسلامي المبكر) في حين ان بني الحارث (عمار) وكانوا محور التحالف المسمى «براجم» في المنطقة الجنوبية يسيطرون على المناطق الحدودية الصحراوية وكانوا اعداء بني جذيمة وهم اقاربهم وفضلا عن هذه التحالفات البدوية سكن بعض المتحضرين من عبدالقيس في قرى عمان نفسها ولكن هذا لا يهمنا هنا. والامر الجديد بالملاحظة هو انه منذ عصر ما قبل الاسلام وحتى اواخر القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي ـ على الاقل كانت عبدالقيس ابرز الجماعات البدوية في شمال عمان وعمان المهادنة.

العلاقات العمانية / البحرينية: المشاعر الخليجية في العصر الاسلامي المبكر:

سيطرت الروابط الوطنية على تاريخ القبائل في الفتوحات الاسلامية (اطروحة ولكنسون ١٩٦٩ الفصل الثالث. وفي طبعة جين بول ١٩٨٣) فنجد جيش عثمان بن ابي العاص يقوم بغزوات في فارس وكانت سراياه مكونة من شنوءه ومالك بن فهم وعمران ازد وبني راسب وبني ناجية من عمان. وعبدالقيس والأزد من البحرين. وقد اتخذوا من التواج مركزهم الرئيسي لكن الاوضاع الحسنة التي وجدوها هناك اثارت حسد القبائل العربية الاخرى التي امرت بتمصير البصرة. وهذه المشاعر التي كانت معادية للمشاعر الخليجية خاصة بين قبائل الحجاز اصبحت عنصرا هاما في تطوير سياسة البصرة. فلم يتعرض أزد المزون فقط للكراهية بل كذلك جميع القبائل التي خضعت للفرس قبل الاسلام. ولولا الاسلام لبقيت القبائل الحجازية خاضعة للذين حكموهم ولظلت تعيش عيشة الذل على السواحل منعزلة عن الاراضي الخصبة ولبقيت تكسب رزقها بصعوبة من البحر او الصحراء، كما قال معاوية (الطبري (١) ٢ـ٢٩١١). وقد تعرضت العلاقات التجارية القديمة مع الهند وهي العلاقات التي نشأت قبل الاسلام للهجوم من قبل عشائر الحجاز الحاكمة. فعانى التجار العمانيون والبحرينيون من القانون الذي فرض عليهم بعدم بيع المنتجات الزراعية حتى بعد الوفاء بضريبة الحكومة.

ولقد لعبت مثل هذه المشاعر دورا في تفسير لماذا ظلت علاقة عبدالقيس قوية مع الازد عندما قام مسعود بن عمرو بن معان مالك بن فهم (المشهور باسم قمر، قائد الهجرة الرئيسية للأزد شبه البدويين الذين دخلوا البصرة منذ حوالي ٥٩ هـ وبعدها) بزحفه الطائش في ٦٤ هـ. كما تلعب دورا في تفسير حساسية كل من البحرين ـ اليمامة وعمان للمذاهب الثورية اجتماعيا مثل الحركة الخارجية (النجدات) والاباضية والشيعية والقرمطية. ولقد نسبت هذه الحركات في بدايتها الى الجماعات المنعزلة كبني ناجية وهم اتباع خريب بن راشد الناجي في ٣٨ هـ او المستغلين مثل الطالوت في اليمامة. لقد كان كل واحد يحاول الى حد ما ان يأتي بتغيير اساسي. وقد مثلت حركة نجدة بن عامر الحنفي في البداية مجرد مذهب لبني حنيفة في الايديولوجية الخارجية يبرر انشقاقه عن الازارقة ونجاحه في اليمامة ومحاولته الاستيلاء على البحرين وعمان (البلاذري الانساب، ٩، ١٢٥ ـ ١٤٧) هذا المذهب اعتمد على بعض الافكار عن الحاكمية وهو يرفض التحكيم وعلى الرغم من أن دولة النجدات دامت حوالي ٥ سنوات الا ان البحرين ظلت في يد الخوارج لمدة ٣٠ سنة فيما بعد. (انظر ابن الاثير ٥، ٩ ـ ٨٨ للتفاصيل التي لا ترد في اي مصدر آخر) كذلك لعبت هذه الحركات المبكرة دورا في تمهيد الطريق لتثبيت الاباضية.

ومع ذلك كان النظام القديم يتغير. فلم يدم التحالف بين عبدالقيس والازد في مواجهة العداء بين نزار ويمن الذي بلغ ذروته في العصر العباسي (المسعودي، مروج الذهب ٦، ٦ ـ ٤٥). وفي البحرين حل النفوذ الشيعي والقرمطي محل الخوارج (مع ان الفرق بين الاثنين اقل مما تعكسه المصطلحات الاسلامية). وفي نفس الوقت كانت قوة عبدالقيس تضعف هناك وتحل القبائل الجديدة محلها. هذه التغييرات التي حدثت في البحرين تزامنت مع بروز ازمة رئيسية في الامامة العمانية ادت في النهاية الى الحرب الاهلية وابعاد الاباضية عن شمال عمان بصورة دائمة. من هنا ظل سكان شمال عمان عمانيين في صلاتهم الجغرافية والاقتصادية والقبلية ولكن اصبحت المنطقة (الشمالية) غير متجانسة سياسيا ومتنافرة في الغالب مع السلطة العمانية المركزية مهما كان نوعها. وأدى هذا التطوير في ميزات الارض الى بروز بعض العلاقات الجديدة مع البحرين المجاورة.

عزل عمان الشمالية وتطويرها كمنطقة حدودية

الحرب الأهلية العمانية

من الناحية الجغرافية بقي هناك فاصل جزئي بين شمال عمان ووسطها لان شمال عمان كان منسجما مع الخليج اقتصاديا ومهتما بالسياسة التي تركز على مراقبة مدخل الخليج. لكن الخلاف السياسي برز في الافق بسبب انهيار الامامة الاولى عندما عزل موسى بن موسى وهو قائد بني سامي الخروصي اليحمدي امام الصلت بن مالك في ٢٧٢ هـ/ ٨٨٦ م ولا يتناول هذا المقال الاسباب التي ادت الى الحرب الاهلية. وكل ما يهمنا هنا هو ان ما حدث كان بسبب احتكار السلطة في المركز وتكديس الاموال التي جاءت من التجارة الخارجية في يد تحالف الازد، وقد تكون هذا التحالف من قبائل وسط عمان من يحمد وسيطر على اقليم الرستاق ووسط الباطنة. وكانوا في موقف يسمح لهم بتعيين الموظفين في المناصب العليا في سائر انحاء عمان بواسطة الامام خاصة في صحار وجلفار وهما مركزان هامان للتجارة الخارجية. وتزايد ابتعاد القبائل التي كانت تعيش وراء الجبال الى المناطق الحدودية واكثرهم عددا جماعات نزاري بن سامة ومعهم عنصر يمني رئيسي في حدان (اولاد شمس شنوءه الأزد) ومما ساعد في هذه العملية الشيخوخة المتزايدة لامام الصلت الذي كان رجلا غير فعال مع انه كان رجلا طيبا.

لقد افسد تصرفهم بعزله كلية الميزان السياسي القديم الذي تطور عبر عصر الامامة المبكرة مما جعل القتال القبلي الداخلي امرا شائعا وضعفت مكانة بني سامة وحلفائهم الحداني في منطقة الجوف. فانصرفوا شمالا وانتخبوا العالم الحداني البارز في ينقول اماما لهم وقاموا بتعبئة الافراد للانضمام الى قبائلهم في (السر) وامتدت عملية التعبئة الى الافراد من كل من عبدالقيس بن عامر في توام والواشحين (مالك بن فهم) في وسط الظاهرة وبين الحارث مالك بن فهم من الباطنة. وواصلوا التقدم واحتلوا صحار ولكن انشىء جيش من قبل التحالف العماني المركزي آنذاك وحدثت مجابهة بينهما في ضواحي مدينة قاع (٢٧٨ هـ/ ٨٩٢ م) وانهزم المتمردون تماما. وقتل العالم السامي و٦٠٠ من المساعدين النزاريين الى جانب الامام الحداني و ٨٥ من مساعديه اليمانيين. ولاذ اثنان من الزعماء الساميين الناجين بالفرار الى توام ومن هناك توجها الى البحرين طالبين عون والي الخليفة المعتضد على اساس ان الحرب كانت بين النزارية واليمانية ولما كان الخليفة يريد استئصال عش الثورات هذا (تشير

المصادر المعاصرة الى الاباضيين بهذا الاسم) ولما كان يهدف الى سيطرته على ميناء صحار المزدهر فقد امر واليه بتعبئة جيش قوي معزز بأعداء الازد القدماء (من ايام البصرة) حتى من الأماكن البعيدة كسوريا. وقد نزلوا فى جلفار وانضم الى صفوفهم القبليون الذين أيدوهم وزحفوا الى الجبال وفتحوا نزوى وقتلوا الأمام فى معركة دارت بسمد فى الشرقية وفرضوا الهزيمة على الجيش العمانى الرئيسى فى (دما) (السيب حاليا) على الساحل ثم انغمسوا فى نشر الرعب والدمار.

القرامطة

تأتى بعد ذلك فترة غموض فى التاريخ فيما يتعلق بعمان والبحرين من حيث دور القرامطة.

متى فتح القرامطة عمان بالظبط ؟ هذا أمر غير واضح. يحسبه ابن خلدون (العبر (٤) ٩٣) ٣١٧ هـ/ ٣٠ ـ ٩٢٩م (يوجد تباين فى نفس المصدر، ص ٨٩ ـ ٣١٥هـ). نقل القرامطة الحجر الاسود من مكة المكرمة فى تلك السنة وأرجح الروايات ٣١٧هـ يضيف ابن خلدون قائلا بأن القرامطة جاءوا بناء على دعوة من جماعة من بني سامة الذين كانوا يقاتلون بعضهم البعض. هذا التاريخ غير صحيح بالمرة واذا كان صحيحا فإنما يشير الى اعادة فتح صحار او وهو الاكثر احتمالا فتح حصل سنة ٣١٨هـ على يد ابو طاهر وحسبما اورده المسعودي (التنبيه ٥٠٠) فقد احتل ابو سعيد الجنابي الميناء الكبير بعد غزوات عديدة.

ولكن اذا اعتبرنا، قوله من ناحية اخرى بأن ابو سعيد الجنابى قتل فى ٣٠٠ هـ/٩١٣م صحيحا يكون رأيه الآخر مشكوكا فيه. لأنه يدلى بشهادة (وفى «مروج الذهب» (١) ٤ ـ ٢٣٣) أن احمد بن هلال (السامى ؟) كان فى منصبه فى ٣٠٤ هـ (من قبل العباسيين) فى حين أن (الطبرى ٦٨) يعتبره متواجدا هناك فى ٣٠٥ هـ. وفى الحقيقة فإنه فى تلك السنة او السنة التى تلتها ربما استولى القرامطة على صحار.

واذا نظرنا الى الشهادة التى يدلى بها كل من المسعودى وابن خلدون مع ما أورده المؤرخون الذين نقل عنهم «دى كوجى» (١٨٨٦ و ١٩٨٥) واضفنا الى كل ذلك ما هو جديد فى المصادر العمانية، فيبدو بأن ابا سعيد الجنابى نجح بصورة متزايدة فى جلب القبليين من حدود عمان الشمالية.

وقد حصلت الحركة القرمطية على مساندة «ملموسة» من أحد رؤساء الحدانى وهو عبدالله بن محمد الحدانى الذى انتخب اماما من قبل اتباعه والذى بدأ فى نشر دعوتهم ويسمى فى تاريخ عمان باسم «ابو سعيد القرمطى»

وفى حوالى ٣٠٦ هـ سقط وسط عمان ايضا فى ايدى القرامطة وكل ما نعرفه هو ان ذلك حدث اثناء أمامة حدانى آخر هو عمر بن محمد مطراف الذى استقال من منصبه نتيجة لذلك (انظر سيرة محمد بن روح القرن ٤/ ١٠) وورد فى التحفة (١)، (٢٦٥) أنه ما كان بالامكان الا ان يكون احتلالا قصيرا لان الشخص الذي اصدر الحكم بخصوص املاكهم بعد ان طردوا ثانية كان ابو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي الذي اعيد انتخابه كرئيس لقبيلته في ٢٣٧هـ ولكن يبقى من الصعب علينا ان نحدد تاريخ انتهاء احتلالهم بعيدا عن العقد الاول للقرن ٤هـ/ ١٠م وقد يكون حكمهم قد امتد على الساحل لفترة اطول او ربما عاودوا احتلالهم في عصر ابن خلدون. وعلى كل حال فان من العبث تحديد تاريخ انتهاء حكمهم بـ٣٧٥هـ/ ٩٨٥ ـ ٩٨٦م. فبالامكان ان تكون السلالة الجديدة للوجيهيين التي حكمت على الساحل خاضعة للقرامطة وبناء على اثارتهم هاجم يوسف بن وجيه البريديين في البصرة في ٩٤٣/٣٣١ (الصولي (٢) ٧٩).

وكان دائما يتصدى للأمام الرحيلي ابو قاسم سعيد بن عبدالله (بن محمد بن محبوب) الذى انتخبه الأباضيون المعتدلون فى حوالى ٣٢٠ هـ/٩٣٢م والذى كان يهدف لاعادة توحيد الصفوف فى المنطقة الداخلية وقد قتل نتيجة اضطرابات قبلية فى ٣٢٨ هـ/ ٩٣٩م ـ ٤٠م. فحل محله اباضى معتدل آخر أسمه راشد بن وليد صمد نزوى (الكندي).

ولكن استقلال المنطقة الداخلية لعمان ومركز الوجيهيين انتهيا فجأة اثر الاحتلال البويهى. والمصادر الكلاسيكية متضاربة الى حد كبير حول تاريخ هذا الحدث كما تقول (فاسمر ١٩٢٧). وتذكر المصادر العمانية («بيان الشر» انظر التحفة (١) ٢٨٢ ـ ٢٨٤) صراحة بان راشد بن وليد اضطر الى التنازل عن سلطته للغزاة فى ٢٠ ربيع الثانى ٣٤٢ هـ/ ٩٥٣م وهذا التاريخ يتطابق مع البراهين الاخرى لتلك الفترة. وان الغزاة الجدد مارسوا السلطة على الساحل لحوالى قرن وعقب احتلالهم انتهت آثار الحكم القرمطى فى عمان.

وبكلمات اخرى لم يكن القرامطة فى عمان الا بمثابة فترة فاصلة، فقد احتل الساحل بواسطة تابعيهم على الاغلب لـ ٣٥ سنة بصورة متقطعة، فى حين كانت فترة حكمهم فى المنطقة الداخلية قصيرة جدا وربما لم يكن الحكم حكما مباشرا. مع ان نفوذهم دام مع القبائل الشمالية طوال بقائهم لاننا نجدهم يستجيبون بالتطوع بالرجال والاموال فى ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦ ـ ١٠٦٧ عقب النداء الذى وجهه ابن

ابو عبدالله بن سمبر فى زمن لم يكن الحاكم القرمطى قادرا على دعم سلطته. (دى جوجى ١٨٩٥) وتمتعت الإمامة بسلطة كاملة على وسط عمان مرة أخرى.

نمط جديد للعلاقات البحرينية العمانية

مهما قصرت مدة النفوذ القرمطى ومداه الا ان الأمر الذى يشوقنا هو العلاقة الجديدة بين البحرين وعمان وميزتها المظاهرة البحرينية فى عمان التى استمرت حتى القرن الحالى بشكل الغارات الوهابية والصورة الاساسية كانت تقوم على أن البحرينيين عندما كانت تتوافر لديهم زعامة قوية كانوا يقوّضون الحكومة العمانية المركزية بتشجيع ميول الحرية السائدة بين القبائل الحدودية بواسطة تأييدهم للسلالة الحاكمة المنافسة فى الشمال ولم يكن ذلك بهدف احتلال عمان بل لاخضاعها وكان دفع الخراج رمزا للخضوع. لذلك نجد نفورا فى اوساط الحكومة العمانية المركزية نحو مركزة القوة ممثلا فى البحرين. وقد ابدى العمانيون من المنطقة الواقعة فى شمال السر نحو البحرينيين مشاعر معادية.

ولكن المغايرة بين العمانيين الشماليين والسلطة المركزية الحكومية وصلت الى اقصى ابعادها اثر استعادة الامامة فى المنطقة الداخلية فى النصف الاول من القرن ٥ هـ/١١م وبطرد تابعي البويهيين فى منتصف ذلك القرن. فبدا لبرهة فقط انه سوف تأتى امامة جديدة هامة. وكان دور الاباضيين العمانيين هذه المرة ان يقوموا بالهجوم تحت قيادة الامام راشد بن سعيد اليحمدى ثم ابنه حفص فنجد لأول مرة ولآخر مرة فى التاريخ اتحاد الاباضيين الحضرميين تحت راية الامامة العمانية واعلنوا جهادا عدوانيا ضد اليمن تحت قيادة الامام ابو اسحق ابراهيم بن قيس. وفتح العمانيون الجبهة البحرينية ومع ان القرامطة كانوا ينسحبون بعد سقوط جزيرة أوال فى ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م - ١٠٥٩م الا ان البر الرئيسى لم يكن قد تم فتحه حتى ٤٦٩ هـ/١٠٧٦م - ١٠٧٧م من قبل عبدالله بن علي مؤسس سلالة العيونيين (انظر المقالات أي ١ - ٢ «عبدالقيس والبحرين» - الاحسائى - ١٩٦٠، ص ٩٨) وكان ذلك التوسع قصير الامد لأن المطالب السلالية لقبيلة يحمد فى الامامة اصبحت واضحة جدا عندما ورثها (حفص) دون تعب وحتى دون عملية انتخاب رمزية وقد اعلن عن «احقيتهم» التاريخية رسميا بصدور مرسوم من قبل مذهب رستاق فى ١٠٥٢/٤٤٣. هذا التصرف كان بمثابة رفض تام

للموقف المعتدل لمدرسة نزوى التى سبق لها ان حاولت تسوية الاحقاد القديمة الناجمة عن الحرب الاهلية ونتائجها السيئة عن طريق التراضى حول اسباب تلك الحرب. ولكن الاعلان بأن الذين ايدوا موسى بن موسى السامى فى عزل الصلت بن مالك الخروصى فى ٢٧٢/٨٨٦ قد اخرجوا لم يثر فقط سخط الحضرميين بل جعل الشماليين خارج نطاق الحظيرة ولم يتم التوفيق بينهم وبين الاباضية فيما بعد على الاطلاق ومنذ ذلك الحين نراهم اما اعتنقوا السنة واما اتخذوا بدعا متطرفة (ويلكنسون «الدراسات العربية ٣و٤).

ولكن التطرف الذى كان تميز به مذهب رستاق والطموحات المتزايدة ليحمد من رستاق للوراثة أديا الى الخلافات الداخلية حتى فى نهاية القرن ٥ هـ/١١ م وأسقط ملوك «يحمد» بعض اصول الاسلام الشرعية ولم تبق الامامة الا فى (جوف) وذلك بصورة متقطعة وفى وجه المنافسة. وبدأت تظهر الى حيز الوجود فى البلاد قوة جديدة وهى النباهنة وهم اصلا من صحار ويمثلون القوى الخارجة المتفرقة المسيطرة على السواحل. وهكذا اصبحت السياسة الداخلية فى وسط عمان صراعا ثلاثيا بين اليحمد والاسر النبهانية المختلفة التى كان مركز قوتها فى قاعدتها القبلية فى الشمال (عتيق وعمران وأزد) وبعضها فى المنطقة الداخلية وكان على هامش هذه الرؤية السياسية (الحدان) الذين خاصموا بشدة اية سلطة عمانية مركزية. وتطلعت جميع الجماعات المتنافسة الى البحرين لتزويدها بالتأييد وبالمرتزقة لان هذه الفترة كانت فترة توسع العيونيين بشكل ملحوظ اذ اعترفت جميع القبائل العربية فى الصحراء من الشام الى عمان بسلطة محمد بن ابو الحسين احمد (الاحسائى ١٩٦٠، ١٠٧)

ظهور (آل عامر)

لم يدم حكم العيونيين طويلا وحصلت بالفعل تغييرات رئيسية فى التشكيلات القبلية فى البحرين حيث بدأت كل من قبائل عامر من الجزيرة العربية تظهر منذ القرن التاسع وكذلك تميم. (الهمدانى، صفحة ١٣٦ - ١٣٧) ويرجع تاريخ المنافسة بين عبدالقيس وآل عامر (ربيعة بن صعصعة) الى عصر ماقبل الاسلام وسبق لنا استعراض العداوة بين شنوءه أزد وآل عامر كان آل عامر اساسا مقتصرين على اليمامة حتى عهد القرامطة وهكذا اقتصرت المنافسة داخل حدود اقليمية ولم يكن العمانيون متورطين مع قبائل وسط الجزيرة العربية بصورة مباشرة. ولكن تغيرت هذه الظروف بنهوض

القرامطة حيث تم كبح قوة عبد القيس وبرز آل عامر بشكل ملموس في شئون البحرين وعقب اعادة فتح العيونيين استعادت عشيرة عبد القيس السيطرة على المنطقة لكن آل عامر بقوا قوة نشيطة على المسرح

وفى النهاية سقطت بقايا سلالات عبدالقيس فى عقود ٦٤٠ هـ/١٢٤٠ امام آل عامر واثناء فترة امتدت حوالي ٣٠٠ سنة فيما بعد مارست كل من اسر العقيليين وبني عصفور وبني جروان والجبور السلطة هناك. (الاحسائى ١٩٦٠، ١١٨).

وقد وقع زحف آل عامر نحو عمان حوالى اواخر القرن ٥ هـ/١١ م حين أسس عبدالله بن علي سلطة العيونيين على البحرين وفرض الهزيمة على زعماء آل عامر وطرد القبليين في اتجاه عمان (الاحسائى، ١٩٦٠، ١٠١) ونصادف أول برهان قاطع لتورط جماعات آل عامر في شئون عمان عندما انهزم امام نزوى على يد محمد بن مالك الرستاق فى معركة طوّ (٥٧٩ هـ/١١٨٣م م ؟) وكانت معه قوة من القبليين من يحمد مدعمة بالجنود الاضافية من عامر ربيعة من الشمال ومن الاحساء. وكان هذا الدعم مبنيا على الارتزاق والدليل على ذلك بأنهم قاتلوا بجانب الامام موسى بن ابو المعلى ايضا (التحفة ،ص، ٣٤٢) وبعد ذلك بقليل نجد الاحسائيين بدورهم كاعضاء فى الجيش النظامى لسلطان صحار-النبهانى - وبمساعدة قوة اضافية مكونة من القبليين من باطنة غزوا محمد بن غسان بن عبدالله الخروصى لكنهم انهزموا فى (الخوض) فى مكان لم يكن بعيدا عن (طوّ) عند المدخل الى سمائل الغربى (بهجة الابصار) حيث كان قد سقط سلف له. هذا الامام الذى ازدهر فى العقدين الاخيرين للقرن ٦ هـ/١٢ م (انظر البرهان فى استرن ١٩٥١) كان آخر امام قوى على مدى ٥٠٠ سنة وقد واصل هجماته فى الاحساء ووراءها فى نجد. وقد حدث ذلك على الارجح حين ضعفت الزعامة البحرينية لانه حدث تغيير آنذاك من عشيرة بني عقيل بن عامر الى بني جروان (الاحسائي ١٩٦٠، ١١٩).

واثناء العصر النبهانى اى «العصور المظلمة» التى لا نعرف عنها شيئا، اسرعت هجرة جماعات آل عامر وطوال ٥٠٠ سنة هى فترة حكمهم تسربت القبائل مثل النعيم وبنى كعب وجماعات كثيرة من العوامر من عمان نفسها الى المنطقة. وربما بدأت بعض العشائر من وائل التحرك الى الداخل عن طريق شمال عدن. (وفى عصر العوتبي يبدو ان مازن بن شيبان) كانوا متواجدين هناك. انظر ايضا ابن دريد - الاشتقاق ٣٥١) وأصبح بعضهم بارزين حتى أوقفهم فى ذلك رد الفعل فى عصر اليعاربة. ان القبيلتين

«الشقيقتين» الحبس والسيابيين ربما كانتا المهاجرين المبكرين الى المنطقة الشـرقيـة لكن الاسر التـى بـدأت التسرب الى عمان الداخلية من (السر) الى غدف (منطقة رستاق) ربما كانت جماعات احتلت مناصب هامة فى حين كان المستوطنون العمانيون ينقصهم التنظيم السياسى ونـذكر عـلى سبيل المثـال (انـظر سيـابى ـ ١٩٦٥ عن سلسلة النسب وتاريخ العبـريين عن السياسة) بني حبس (منطقة حمرا) وذهول (عوابى) الذين انضمـوا الى العبـديين وبنى عـوف نـوادى فـرع وقسم للشيـوخ قام بتعـزيز عشـائر متباينة فى منطقة (جاما) ليشكل بنى حـراص وبنى جسـاس أيضـا من السليف وعبرى، وجماعات مكونة من طوائف متبقية كا (الشكور) فى رستاق وحمـرا وذنـك ومن بنى شيبـان فى الظاهرة وباطنة. لكن تم تمركز العامر بصـورة رئيسيـة فى الشمـال فنجـد المستـوطنـين العمـانيـين القـدمـاء يحاولون تشكيل جماعات قبلية دفاعية جديدة. ويتجلى هذا من مجرد تسمية الظواهـر وقد اشتهـرت بهذا الاسم بعض العشـائر (الدرامكـة وكنـود) ومقابيل، فى منطقة (توام) مشيرا الى العمليـة التى كـانت تجـرى آنـذاك وتشبه تلك العملية نفس العملية التى ادت الى تسميـة شعب وبلد «ويـلز» «فاليز» اى «الاجانب» فى بلدهم نفسه.

ولم يكن البحرينيون فقط هم الذين حلوا محـل المستوطنـين العمـانيـين الاصليين او سيطروا عليهم فى شمال عمان بل الجماعات الايرانية ايضـا. فان تاريخ هجرة العرب الى الساحـل المقابل فى الخليج وعلاقـات القبائـل العمانية والسـلالات مع من كـان فى الساحل الموازى، يمتد الى نفس الفترة التى تغـطى تاريـخ البحرين. هنـاك ايضـا حـدثت تغييـرات جـذريـة فى تشكيلات سياسيـة وقبلية فى القـرن ٤/ ١٠ هـ ـ ٥/ ١١ م وخاصة فيمـا يتعلق بـانهيار عـلاقات جلنـدا التى توقفت على تحـالف بنى سليمة. اثـر بروز النباهنة الشماليين اكثر العشائر نفوذا فى عمان عقب انهيار تحالفـات يحمـد القـديمـة ووجـد (الحـدّان) انفسهم مشتتين ومحرومين من تأييد البحـرين. فتـطلعـوا الى السـاحـل الايرانى بحثا عن حلفاء جدد. وهكذا سـاعـدوا الشـيـرازيـين فى ٦٤٢ هـ/ ١٢٤٤ م ـ ١٢٤٥ م فى محاولتهم غزو عمان الذى وصل الى (بهلا). ثم فى ٦٧٥ هـ /١٢٧٧ م شـاركـوا الايرانيين من «اولاد رئيس» فى غارتهم الهدامة على نزوى فى وقت كان (الملك) النبهانيون، وهم اكثرية القبليـين من نزوى، بعيدين عن الساحل وتبع ذلك عقـوبة صـارمـة وانـهـزم التحـالف (التحفـة (١) ٣٥٢ ـ ٣٥٤). وذلك، لحد ما، يـرمز الى نهـاية (الحـدّان)

الذين غابوا عن المسرح السياسى العمانى كلية وليس الامر هكذا بالنسبة الى «اولاد رئيس» (او الريائسة) الذين استوطنوا شمال عمان وأصبحوا من اقوى مؤيدي النباهنة والذين صاهروهم عندما وجد النباهنة المتأخرون موقفهم فى وسط عمان يصعب الدفاع عنه فى القرن السادس عشر. من هم «الريائسة» هذا أمر غامض. ويحتمل انهم جاءوا من ساحل (مكران) وهو المكان الذى نشأ منه البلوش.. والبلوش من (ظاهرة)

الجبور

احتلت البحرين أهمية فى سياسات شمال عمان وعمان الداخلية اكثر من كرمان وكان نفوذ كرمان غالبا مقتصرا على الساحل. كان هذا هو الحال الى حد كبير بخصوص نهوض الجبور وهم اسرة (عقيل) من اصل نجدي هزموا (ابن جروان) حاكم البحرين خلال القرن ٨ هـ/ ١٤م.

وبسط الجبور نفوذهم على طول الساحل تحت حكم أجود بن زامل الجبرى) (ولد فى ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م)

أخو سيف «مؤسس السلالة الحاكمة» وطردوا الهرمزيين من البحرين. وعندما جاء البوكرك الى الخليج فى بداية القرن السادس عشر سيطروا على شرق الجزيرة العربية كلها من البحرين الى حضرموت مع انهم وصلوا الى تفاهم مع الهرمزيين حول تقسيم السلطة على البحر والبر بينهما.

ونعرف كذلك مما أورده (دى باروس) بأن سكان وسط عمان حافظوا على انفسهم بدفع الخراج لهم وهنا تجدر الملاحظة ان المذهب المالكى ازدهر فى شمال عمان تحت نفوذهم.

وحدث تغيير جذرى فى موقفهم بعد قليل بسبب اعادة البحرين الى الهرمزيين بواسطة البرتغاليين ونتيجة للنزاعات الداخلية فى صفوفهم بعد ان قتل مقرن بن اجود فى ٩٢٧ /١٥٢١م. وبعد قليل سقطت كل من الاحساء والقطيف فى يد اسرة من البصرة، (المغامس) مما مهد الطريق فيما بعد للاحتلال العثمانى للبحرين. (الاحسائى ١٩٦٠ ـ ١١٩ ـ ١٢١، دى باروس دا آسيا، ديسمبر ٢ (٣) ٢ والبوكرك (١) ٦٦، ٧٥، ٨٤ ـ ٨٣، ٨٧، ٢ ـ ٩١ والتحفة النبهانية (الطبعة الثانية) ، ١٠٨، كاسكيل ١٩٤٩).

من هنا أصبحت القوة الجبورية فى البحرين أثرية فقط (انضم المتبقون منهم الى بنى خالد) وتركزت سياستهم على عمان. وكان لهم مجال واسع للتلاعب هناك لان الأسر العمانية القديمة من وسط عمان حاولت استعادة الامامة وطرد النباهنة من المنطقة الداخلية فى حين جاهد البرتغاليون والهرمزيون للاستيلاء

على الساحل. كذلك ساعد الشيخ الجبرى الهرمزيين فى الدفاع عن مصالحهم فى الموانىء الغمانية وعندما جاء البرتغاليون لأول مرة نرى الحاكم الجبورى المحلى فى شمال عمان يتصرف فى حماية مصالح نفسه ويمد يد المساعدة الى البرتغاليين عندما تمرد الهرمزيون فى ١٥٢٢م.

وقد حصد ثمار (هذه المساعدة) عندما عينه البرتغاليون مندوبا لهم هناك. وقد أدت الظروف غير المستقرة للغاية فى المنطقة الداخلية لتعريض المنطقة للاستغلال من قبل القبائل البحرينية بحيث أصبح التاريخ المحلى متهما بنشاطات الجماعات الجبورية المشتتة كـ (قطن بن قطن) و(قطن بن علي بن هلال بن زامل الجبري) وحلفائهم السابقين كـ(الاغبرة) أو (لغبرة) و(العوامر) و(بنو هلال).

والوضع الذى نجم عن هذه الظروف يعكسه تاريخ قصر بهلا. خلال ثلاث سنوات بين ٩٦٤ هـ و ٩٦٧ هـ (١٥٥٦ م - ١٥٥٩ م) فيبدو ان القصر، امتلكه السلطان النبهانى بن محسن بن سليمان امام بركات بن محمد الذى سبق له ان طرد من نزوى من قبل علماء ابن مداد عندما عينوا اماما منافسا وباعه الجبور الشماليون الى حلفائهم من العمير من منطقة فجوة سمايل ثم فقدوه بدورهم لصالح امام منفصل فى (منح) وبعد بضع سنوات استعاده النباهنة مرة أخرى (امام : التحفة (١)، ٣٨٦ - ٣٨٧) وبعد ان استرد النباهنة (بهلا) وهم الأسر الخروصية القديمة من هناك (اسرة سليمان بن سليمان) ومنذ ذلك الوقت اتخذ الصراع فى المنطقة الداخلية صبغة الشمال ضد الوسط وبدأ السلاطين النباهنة المتأخرون تحصين مراكزهم فى كل من (ينقل) ومقنيات وتطلعوا الى نيل التأييد من الجبور الشماليين و (أولاد رئيسى). وفى أواخر القرن السادس عشر استولى (سليمان بن المظفر) على عمان كلها وهو الامر الذى ادى الى الشقاق بينه وبين حلفائه السابقين بما فيهم الشيخ الجبورى الذى انضم الى صفوف النزويين المتمردين. لكن الاسرة التى كسرت اخيرا ظهر النباهنة كانت (عمير من منطقة سمايل) وهى أسرة بحرينية سابقا. فبالتحالف مع الملك طردت السلطان النبهانى من صحار بمشاركة (بنى هنا) من (بهلا) وبن علي من معقلهم الاخير في (مقنيات) و(ينقل).

وقد أدى سقوط الحكم النبهانى الى فراغ فى السلطة الحكومية المركزية فى عمان ويظهر ان الرئيس العميرى تخلى بسرعة عن أية محاولة لينظم حكومة «بديلة» فاستفادت نتيجة ذلك العشائر البحرينية القديمة من اسر الشيوخ التى أصبحت عمانية غالبا

بتوطيد دعائمها فى البلاد التى احتلتها. ومن البريمى و (لوا) (فوق صحار) في الشمال و(مقنيات) و (ينقل) و (بات) فى (السر) ومن (منح) فى (الجوف) الى (سمبر الشأن) و (ابرى) فى الشرقية احتل كل من الجبور وبنى هلال و (الأغبرة) القلاع الرئيسية. وعلى الساحل كذلك دعم البرتغاليون احتلالهم فى آخر محاولة لهم للحفاظ على كيانهم فى منطقة الخليج. اثر هذا الحصار تشتت العمانيون أنفسهم بين الملك المحليين وكانت بقية آثار الاباضية بل النظم القبلية القديمة نفسها محكومة بالاضمحلال بصورة نهائية.

ونتيجة رد فعل استثنائى تم انتخاب عضو من أسرة ملك المحلية من رستاق ذلك عندما انتخب (ناصر بن مرشد اليعربى) اماما فى ١٦٢٤م و قصة طرد او اخضاع الاجنبى سواء على الساحل او فى الداخل فى ربع القرن التالى لا تخصنا هنا كما لا يخصنا تاريخ التطورات التالية فى القوة البحرية او الازدهار الذى تمتعت به عمان نتيجة تطور القوة البحرية. ولكن يجب علينا ان نلاحظ هنا ان عمان توحدت مرة اخرى وجرت فى اطارها القبلى تغييرات جذرية. وفى هذه العملية انضمت الجماعات البحرينية القديمة الى البنيان الاجتماعى والاقتصادى للمنطقة وهكذا تم امتصاص الموجة الرئيسية البحرينية الاخيرة لكن المنطقة الشمالية كالعادة ظلت منطقة حدودية وفى (السر) وفوقها فان العلاقات بين القبائل والامراء وبين الحكام العمانيين المركزيين فى احسن الاحوال، كانت قلقة. وهكذا فإن اكثرية زعماء القبائل ناصروا قضية المتمرد محمد بن ناصر الغافرى الذى اعلن امامته فى نزوى فى ١٧٢٤م وحتى عقب هزيمته فى ١٧٢٨م ظلت المنطقة تحت نفوذ الغافرى الى حد ملحوظ. اما موقفهم تجاه سلطة الحكومة المركزية فقد ورد تلخيصه فى «سيرة الأمام محمد بن ناصر» وتم تدوينه للشيخ الغافرى فى ١٨٧٧ م حسبما يلى:

« تغيرت الدولة ونشبت حرب أهلية. ثم قتل (بالعرب بن سلطان) (اليعربى) على يد احمد بن سعيد (اول حاكم بو سعيدى).
وقد أخذ الله كلا منهما».

ومرة اخرى اكدت القبائل الشمالية شبه استقلالها وبرز الى حيز الوجود بعض زعماء المهاجرين البحرينيين القدماء باحتلالهم مكانة الامراء المحليين كـ البوفلاح (بنى هلال) و(البوخريبان) و(آل حموده) (النعيم) على الجانب الصحراوي في الحدود الشمالية، فى حين تنعكس الصلة الايرانية فى نهوض القواسم

الذين سيطروا على (الهولة) على مدخل الخليج وهم من السكان الايرانيين والعرب المخلوطين. وبسبب الشقاق الذى حدث فى صفوف عائلات البوسعيد المنافسة أصبح الموقف ملائما جدا للتدخل البحريني. ولم يمض وقت طويل حتى سنحت الفرصة. ولكن قصة نهوض الدولة السعودية والزحف فى اتجاه عمان تشكل تاريخا موثقا ولا تحتاج الى سردها مرة ثانية هنا. الا انها تتميز بميزة تورط اليمامة والبحرين فى عمان وحتى سنة ١٩٥٥م ظلت خطوط التداخل كما كانت.

وعندما كتب الكولونيل بيلى فى ١٨٦٦ :

« ان الميزة الاساسية لهذا التسرب هى ان عدد الوهابيين النجديين الاصليين من بين الغزاة كان قليلا نسبيا. بالعكس كان قادة القبائل الحدودية على حدود عمان نفسها.»

فكأنه كان يكتب عن تاريخ الجبور والقرامطة والخوارج (النجدات). ان تحليل تطور النزاع حول البريمي يشير الى استنتاج ان سياسة الترهيب والترغيب، التى تميز بها تورط اليمامة / البحرين / نجد الاحساء فى شئون المقاطعة العمانية الشمالية لم تختلف.